مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.363/356

آليات التأويل في الخطاب الصوفي (وقفات نفرية أنموذجا)

Nafari's Sufi stances - an interpretive approach

رماس جميلة
ramasjamila@yahoo.com
جامعة مولاي الطاهر -سعيدة-
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/05/20 تاريخ القبول: 2022/10/11 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:
تعتبر الدراسة التأويلية للغة النص الصوفي من أهم الدراسات التي تبوأت مكانة بارزة في النقد الأدبي، وذلك محاولة لإدراك خبايا هذا النص،وما يحتويه من إيحاءات ترتبط بخباياه .
فلقد استثمر هذا النص إمكانات التعابير اللغوية المعروفة، ناقلا إياها إلى مستويات متعددة، إذ تنطلق اللغة من سياقاتها المعهودة إلى مستويات جديدة عنيت بالطاقات الإيحائية، موسعة أفقها لتتماشى مع رؤية وتجربة المتصوفة .وهذا ماعثرناعليه ونحن نحاول أن نستنطق بعض وقفات النفري الصوفية التي كانت نصوصا تحاول أن تجمع كثير المعنى في قليل للفظ.
وذلك من أجل العثورعلى أماكن الإثارة والمفارقة في أعماق الكائن والوجود.
كلمات مفتاحية:التأويل - التصوف - الدلالة- اللغة -النفري - الرمز.

Abstract :
Hermeneutical study of the language of the sufy text is one of the most and it tries ,important studies that occupied a prominent place in literacy criticism to figure out the nuaunces of this text and what it does contain of cannotations are related to its nuaunces.this text invested in potential of well – knonwn linguistic taking the language from is usual ,transmiing it to multiple levels,expressions expanding its horizon that responds ,contexts to nrw levels with sugestive energies well with the sufi vision and experiences .this is what we found and we are trying to interrogate some of te sufi **Al-Nafari's** attitudes which were texts trying to so that to find most exciting and ,gather so many meaning in few words contradictory places inside the living being and existance).
Keywords: *Interpretation - Sufism - Connotation - Language - Al Nafari -*

تمهيد:
تحتوي كل لغة على طبقات متراكمة من اللغات واللهجات، والأفكار والأحلام، والأوهام ، والرموز، والآراء المتعددة بتعدد طبيعة المجتمعات ومعتقداتها. وهي في كل هذا تسعى إلى بناء وصياغة دلالات جمالية، وفّرت لها مساحات التخييل ما أمكن لها من أجل رسم آراء تنسجم مع هذه التراكمات والتحولات المتتالية والمتعاقبة .
وقد عمد الأدب إلى رسم هوية ثقافية وفكرية ارتبطت باجتهادات الوعي الجمالي وبتكثيف معرفي، وتنويع تعبيري، ولغوي يسعى إلى تخييل هذا الواقع بتعدد حقائقه ووقائعه، وتغيراته من خلال نصوص أدبية قادرة على ترسيخ هوية الأفراد والمجتمعات على اختلاف توجهاتها وإيديولوجياتها.

ومن خلال مجالات الإبداع الواسعة من فكر وأدب ومعرفة استطاع هذا الأدب " تحقيق التخييل العابر لكل شيء في خلق صور وإدراكات للحياة والتي تحتوي كل أنواع التواصل الإنساني".[1]

ومن ثمّ فإنّ نزوع الأدب إلى تخييل الواقع هو في حقيقة الأمر من أجل استمرار تعدد القراءات ودحض المعنى الواحد.

وتأتي المقاربة التأويلية التي هي من ثمرات هذا التطور، فتقدم لنا التبصر الذهني والفكري وتستجلب أنظارنا إلى طبيعتها وأهميتها ومكانتها الرفيعة.

إذ يعتبر التأويل الأدبي من المحاور التي لقيت رواجا كبيرا لما له أهمية بالغة بالنسبة للقارئ كمتلق، والنص كبنية مفتوحة على أكثر من معنى ، وعلى أكثر من احتمالية قراءة .

ويتجسد دور القارئ أو الناقد في قدرته على معايشة تجربة المبدع ، ومحاولة استنطاقها وفق رؤيته مع احترام معطيات النص الأدبي المتعددة . وبالخصوص النص الصوفي وغموضه الذي يستدعي جهدا فكريا وعلميا للكشف عن أسراره وإبراز مكامنه للوصول إلى المعنى الحقيقي .

مرجعية التأويل:

لقد انحصر التأويل في بدايته عند العرب حول الخطاب القرآني " وكان يختص بتفسير آيات القرآن المحكمة بالإضافة إلى تأويل المتشابه من خلال فك أسراره وحل رموزه وإدراك أوجه دلالته ، وهذا وفق مبادئ وأسس عقلنته واستنادا إلى أدلة وبراهين ".[2] ثم استطاع هذا المفهوم – أي التأويل – أن يتطور ويتغلغل في النقد الأدبي " ويشمل كل ما يكون قابلا للفهم والتعقل كالرموز والأساطير وظواهر الفن لأن قضاياه وصياغاته كانت موغلة منذ القدم قدم الحضارات إلى يومنا هذا ".[3]

إن أي ممارسة تأويلية أفضت إلى اعتبار المعنى في الخطاب مكتشفا وليس جاهزا "والغرض من التأويل الوصول إلى المعنى وتحقيق متعة جمالية ويكون بناءا على الكفاءة الثقافية للمؤول وخبراته الإبداعية ومهاراته في استخدام التلميحات المناسبة لمعطيات النص حتى تتحقق فعاليته ".[4]

لقد اختلفت الآراء حول مفهوم التأويل ، وإلى أي مدى يمكن الوصول عن طريقه إلى قراءة النص بالشكل الذي يجعل منه نصا يستدعي مجالا تأويليا ، دون غيره من المجالات القراءاتية الأخرى .

فهناك من ربط التأويل بالتفسير وهناك من اعتبره توضيحا . والبعض الآخر ربطه بالشرح فقد شكلت هذه المصطلحات ضبابية حول مفهوم التأويل منذ أن بدأ النقاد يحاولون تحديد مجالات وأبعاد وحدود اشتغال التأويل .

صحيح أن قدماءنا لم يهتموا بطرح باب التأويل في مضامينه المعيارية كما هو عليه الشأن في الدراسات الحديثة ، لكن الذي لا ينبغي إنكاره أن عرض تحديد مصطلح التأويل كان سائدا لدى بعض الأصوليين والبلاغيين حتى ولو كان بدافع المنهجية الوصفية التي فرضت هيمنتها على الممارسات الإجرائية لجمالية النص الناتجة عن التقويم التفسيري قصد الوصول إلى غرض الفهم .[5]

فالتأويل عند **ابن رشد:** " هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية دون أو يخل بالمعنى " .[6]

وهذا في الواقع هو الطرح البلاغي الذي نحاه القدامى على شكل التعبير غير المباشر للدلالة على الصيغ المجازية والتي كثيراً ما كانوا يطلقون عليها أسلوب المماثلة وهو ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في قوله " كان يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أنه ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده " .[7]

فكانت المماثلة والمجاز من أساليب البلاغة المعتمدة وأوسعها تقبلا للإفادة على استعمال اللفظ للدلالة على غير مما تدل عليه الكلمة المباشرة على سبيل طرحها الظاهري ، وهو ما تفطّن إليه القدامى للتفرقة بين الحقيقة والمجاز وبين الكلمة في نقلها الظاهر وما يحتويه مدلولها الباطن القابل للتأويل بحسب مقتضي الحال ، على حد ما عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني من حيث اللفظ أصلا مبدوءا به في الوضع ومقصودا لأن جريه على الثاني إنما هو على سبيل الحكم يتأتى إلى الشيء من غيره .[8] وذلك على نحو المجاز " للدلالة على مقصد آخر غير الذي يحمله المعنى الظاهر القصدي المباشر ".[9]

التأويل وجدلية الظاهر والباطن:

إن مهمة المؤول لا تقف عند حدود المعنى الدلالي الظاهري وإنما تتجاوزه عن طريق تقصي بنياته التحتية الكامنة فيه والتغلغل في أعماقه للكشف عن معناه الباطني انطلاقا من رصيده الثقافي والمعرفي واستنادا لقدراته التناصية في ربطه بين النصوص ، لأن كل قراءة لنص ما تحمل في ثناياها القراءة الماضية التي سبقتها واعتمادا على تجربته الخيالية والواقعية وهذا " ليتمكن من الإحاطة بالمعاني الدلالية المقصودة من خلال قراءته للنص ، لأن معنى النص مفتوح على كل من يعرف القراءة ، والمهمة التأويلية محكومة بفهم القارئ للنص ".[10]

ولعل من نتاج القراءة التأويلية للخطاب ، أن أضحى النسق اللغوي هو المحدد لمقصدية ذلك الخطاب لأن مقصدية الذات لا يمكن تعيينها بصورة موضوعية حتى لو تأسس هذا اليقين على كل معطيات اللغة الداخلية والخارجية ، والمنحى التأويلي الحديث يستقر - إلى حدّ ما - على مقولة الانتصار لمقصدية الخطاب على مقصدية الذات المتكلمة وقد رأى ميشال فوكو " أن الذات ما هي إلا مقول لغوي تختصرها مؤسسة المعرفة ، كما أنها تجميع بنيات مختلفة متداخلة ومتشابكة ".[11]

وقد ثبت عند منظّري التأويلية أن الحقيقة ليست واحدة وإنما تعتبر بحسب نسق القراءة النصية وحيثياتها وهذا يتطابق مع فكرة أن دلالة اللفظ هي صورته الذهنية لا مسموعه الخارجي وهذا ما أكده **ميشال فوكو** بقوله " إن الممارسات والسلوكات أو المقولات لا تكتفي بالدلالة التي ترتبط بمستوياتها الظاهرة بل تتعداها لتقول أكثر مما تقوله سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ".[12]

ولما كان التأويل إبراز مراد المتكلم ومقصدية دلالة خطابه فإن القصدية القائمة في النفس هي الحقيقة التي يضطّلع بإبرازها التأويل ، إلا أن الحقيقة المقصودة هنا هي حقيقة مؤقتة " إذ يتعلق التأويل أساسا بدلالة الألفاظ ، والألفاظ تتغير حقيقة دلالتها من أسلوب لآخر، وربما تتغير كذلك من وقت لآخر ".[13]

ولما كان التأويل هو نشاط وممارسة تقع داخل اللغة فإن من واجب كل لغة " أن توفر لمجتمعها القيام بوظيفتي التبين والتبيان على وجه يولد نشاطا تأويليا فاعلا يقوم بتأويل وتحويل موجودات الوجود إلى لغة وبالتالي إلى خطاب مكون من علامات رمزية اصطلاحية تصبح بدورها بيانا آخر قابلا بدوره إلى التأويل ".[14]

ومن ثمّ فإن النصوص الجدية والفاعلة في نشاط المجتمع تحتاج منه إلى عمل تأويلي مستمر يمكّن من استمرار هذه النصوص ، وقد لا يتوقف هذا النشاط إذا تجدد الكشف عن مقاصد النصوص باستمرار .

ومن بين النصوص التي استجلبت بطبيعتها وفرضت نفسها في المنحى التأويلي والقصدية الخطابية نجد النص الصوفي .

الخطاب الصوفي في الممارسة النقدية:

لقد عُرفت الصوفية قديما أنها حركة دينية * فقط مما أدى إلى ضعف القراءة النقدية وضعف المستوى النظري المعرفي – أو التحفظ حول الإحاطة بحيثياتها .

الحقيقة أن التجربة الصوفية ليست مجرد تجربة على المستوى الفكري النظري وليست مذهبا دينيا ، وإنما هي أيضا تجربة في الكتابة ، تجربة لغوية مميزة ، ذلك لأن الألفاظ فيها تفرغ من معانيها لتحمل معاني ودلالات جديدة وتشحن بإيحاءات نجدها بعيدة عن دلالاتها المألوفة وهذه لغة تنطوي على وظيفة ما بعد لغوية كما يقول ياكوبسون .[15]

وقد يعود السبب في غموض النصوص الصوفية - النثرية منها والشعرية - إلى كثرة الشروح والقراءات التأويلية التي لاقتها تلك النصوص " فكتاب فصوص الحكم هو الكتاب الذي اعتمده نيكولسون في دراسته للتصوف الإسلامي ، وحين هم بترجمته إلى الانجليزية عدل عن فكرته قائلا " هذا الكتاب يتعذّر فهمه في لغته مع كثرة الشروح عليه فكيف به إذا ترجم إلى لغة أخرى" .[16]

إن الخطاب الصوفي يعتمد أساسا على أفانين اللغة العربية وما فيها من أصناف وأساليب التعبير عن المعنى ، وعن معنى المعنى كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز .[17]

وهذه الخصوصية المتميزة في اللغة هي التي رشّحت النص الصوفي كي ينفتح على التأويل ، وأن أساس هذا الانفتاح هو ما في أساليب التعبير اللغوي من صنوف المجازات والصور البلاغية التي تجعل اللغة في النص الصوفي تفرض الظاهرة التأويلية في معانيها واستدلالاتها .

النص الصوفي الدلالة والمقصدية:

إن ألفاظ اللغة وضعت أساسا للمحسوسات فلما أراد الصوفيون التعبير عن المجردات لم تسعفهم اللغة الاصطلاحية تلك ، في نقل تجاربهم فعددوا من مجالات دلالة الألفاظ عن طريق فعالية التوسع ، فاللفظ إذا كان يحتمل دلالة واحدة متعارف عليها ، أضحى يحمل العديد من الدلالات ، لأن الصوفية يشيرون باللفظ الواحد لعدة معان ، فهم لا يقيدون الألفاظ بقدر ما يفتحوا الباب شاسعا أمامها " لأنها صور معنوية بتعيين المظاهر الوجودية وهي كذلك سوانح نفسية تصور تلك الذات بالحمل الوارد عليها في التلقي وأطوارها الحالية والمقامية في الترقي ".[18]

إن اللغة المعيارية تقوم على علاقة الاعتباط أو الضرورة بين الدال والمدلول ، تكون مقصدية الألفاظ فيها ما حددته قواعد المواضعة والاصطلاح ، بينما في اللغة الصوفية تسعى الألفاظ إلى التماهي مع الأشياء التي تحيل عليها وهي تتألف عند ترتيبها من بعدين :

- دلالة أولى من حيث الظاهر، وهي دلالة عرفية وضعية اصطلاحية .
- دلالة ثانية أعمق ، دلالة الباطن وهي دلالة يتحد فيها الدال والمدلول .[19]

ومن ثم فإن سمة التعدد في دراسة مستويات اللغة وربط ذلك بالمعنى يمنح عالم الدلالة الصوفي اتساعا وغنى وعمقا لأن " الصوفية أهل الإشارة وغيرهم أهل العبارة . هم أهل التلميح وغيرهم أهل التصريح والإبانة في الأغلب الأعم . ولعل مواطن الاختلاف ليس اللغة أو المنطق وانما تصور الوجود وبرزخية الإنسان وطبيعة علاقته بالإلهي ".[20]

فالصوفي حينما يوظف علامات اللغة الاجتماعية التواصلية فإنه في العادة ينتهك قاعدتها وسياقها الاجتماعي والاصطلاحي ، بغية تفجير مفاهيمها الكلية ، وأداة ذلك التفجير هي بناء الصورة الرمزية والإشارية .

وما دام التأويل يوضع دائما في مجال المحتمل فإنه سيظل مفتوحا باستمرار على تجربة تومض وتغيب لذا " لا يجد الصوفي طريقة ناجحة للقبض عليها ، ونقلها كما هي ، ولهذا يستعين لغة الإشارة والرمز لنقلها مبهمة كما عاشها ، فطبيعة هذه التجربة تقتضي الإخفاء والغموض لأن اللغة التي تتقبلها يجب أن تكون من صنفها ومقامها أيضا فالغموض عامل مشترك بين اللغة والتجربة ".[21] وهذا ما عثرنا عليه ونحن نحاولأن نقرأ بعضا من وقفات النفري الصوفية .

سمات الكتابة النفرية:

إن القارئ لكتابات النفري يجد أنها كتابة تتنوع على مستوى التجنيس ، فهي أدعية ، ومقالات ، وخواطر وشذرات ومناجيات ومخاطبات والمواقف التي تعتبر الأشهر .

فالمواقف عبارة عن نصوص حوارية بامتياز تتكون من عدة شذرات أو عبارات مكثفة ومترابطة بنيويا ، تركيبا ودلالة على الفهم من مظهرها المتقطع والمستقل ، وغالبا ما نجده يبدأ الموقف بعبارة (أوقفي ، وقال لي) ثم ينتقل إلى موقف تابع بالصيغة التالية وقال لي ...[22]

يعتقد الكثيرون أن النفري وعبر أسلوبه الخاص واتقانه اللغوي ، وصل إلى حد كبير من الإبداع في الرمز والإشارة والتكثيف والغموض واللجوء إلى ما يسمى بالكتابة الشذرية ، خاصة في مؤلفه " المواقف " ، إذ يعتبره أدونيس السلف الشرعي لقصيدة النثر لافتا في كتابه الصوفية والسريالية إلى أن أسلوب النفري في مواقفه اختلف عن أسلوب القصيدة العمودية .[23]

كما يشير عفيف الدين التلمساني إلى أن كتاب المواقف مبني على عبارة (أوقفني وقال لي) والتي معناها " أيقظ قابليتي للتجلّي . وقال لي هي حال من يأخذ الوحي عن ربّه فيفوه بكلامه وهي حال الفهوانية (*).

وهي حال معروفة عند المتصوفة وكما تعلم الوحي أنواع .

أعلاه التنزيل وهو وحي الله لنبيه المصطفى ووحي الإشارة كما أوحى سبحانه لأم موسى ووحي الإلهام كما للأولياء.[25]

من المعروف عند المتصوفة شعورهم بأن اللغة وسيلة غير كافية لنقل تجاربهم واستبصاراتهم إلى الآخرين ولذا نراهم يقولون أن ما يمرّون بتجربته لا يمكن وصفه ، أو التفوه به ، ويستندون في ذلك إلى حديث " من عرف الله كلّ لسانه " ويعللون ذلك بكون تجلي الحق تعالى لأولياءه لا بالحروف ولا بالصوت .

كشف الحجاب لعارفيه فأبصروا
ما لم تعبرّه حروف هجاءه .[26]

وهذا ما عبّر عنه النفري بقوله :

كلما اتسعت الرؤيا ، ضاقت العبارة .[27]

ونجد أيضا عبارته المثيرة للجدل والمفتوحة على أكثر من قراءة وأكثر من إدراك .

إن العلم المستقر هو الجهل المستقر، والجهل عمود الطمأنينة .[28]

قوام الكتابة النفرية - رمزية التكثيف والإيجاز -

يؤكّد الدارسون أن نصوص النفري لا يمكن شرحها بطريقة منطقية لأن للمنطق حدودا والكلام في مواقف النفري بلا حدود .

هذه الحدود التي نجد النفري يتساءل عنها في وقفة من وقفاته قائلا :

(قال لي في البحر حدود أيها يقلّك).[29]

إن قوام الكتابة عند النفري هو الرمز والاشارة ورمزية هذه الكتابة تكمن في أن كل لفظة تكتسب محمولات جديدة بمجرد توظيفها في التجربة الصوفية وهي بذلكتخلق عالما الخاص .

ففي هذه الوقفة نجد النفري يقول (في البحر) وليس للبحر ، والمعتاد في حال التعريف هو استعمال (ل) التعريف وليس في ، والتي عادت ما توظف في حال الوصف ، وهو بهذا يريد ان يعطي معنى لحياة الانسان التي يشبهها بالبحر . ثم يأتي النفري في وقفة ثانية فينفي محدودية البحر ويجعل المر مطلقا إذ يقول :

(وقال لي ظاهر البحر ضوء لا يبلغ وقعره ظلمة لا تمكّن وبينهما حيتان لا تستأمن).[30]

يشبه هنا النفري الحياة بالبحر والتي تمتد رحلتها من الميلاد إلى الموت ، يعيش كل واحد تفاصيلها بمعطيات تختلف بحسب نمطية الحياة التي نختارها نحن حينا ، وتفرض علينا في أحايين أخرى .

فظاهر البحر هو الحياة التي أشار إليها برمزية الضوء ولا إمكانية لبلوغ الكمال طالما أن كل شيء نسبي ومحدود .وقعر البحر الظلمة التي يعني بها المجهول والذي ينفي عنه رمزية الضوء التي تشير غالبا إلى المعطى والممنوح .

وما بين الضوء والظلمة حيتان لا تُستأمن ، فالعبارة تشير إلى أكثر من احتمال و أكثر من قراءة ، فالمقصدية الأولى للحيتان قد تكون حركية الأقدار التي تسير في كل الاتجاهات والأيام بتفاصيلها التي يعيشها كل واحد منا وفيها من السقوط والوجع والألم ما ينفي عنها الأمان .

لأنه قال حيتان لا تُستأمن .

ويتبطن القول دعوة إلى الحذر الذي يجب أن يكون مطلوبا ، سواء من البشر أو من الأقدار.

كما قال الشاعر:

ومن يأمن الدنيا يك
مثل قابض على الماء
خانته فروج الأصابع

إن القارئ لنصوص النفري يجد أنه يعبر عن مفاهيم تُشكّل بذاتها تصورا للحقيقة والواقع، بحيث تركيبة الرمز عند النفري شاركت في توليد أفكار واستخراج مفاهيم جديدة انطلاقا من تجربة روحانية ، لأن الصوفي حينما يوظف علامات اللغة الاجتماعية التواصلية ، فإنه في العادة ينتهك قاعدتها وسياقها الاجتماعي والاصطلاحي بغية تفجير مفاهيمها الكلية . وأداة ذلك التفجير هو بناء الصورة الرمزية والإشارية " وما دام التأويل يوضع دائما من المحتمل فإنه

سيظل مفتوحا باستمرار ومن ثم فإن اللغة الإشارية تظل مفتوحة أيضا وغير مغلقة على خلاف اللغة الاجتماعية".[31]
وهذا ماجعل النفري يبتعد بلغته الى أبعد نقطة ليستنطق العمق والجوهر فيقول :
(وقال لي أنت معنى الكون كله)[32]

هنا يُذكّر النفري الإنسان بأن الله كرّمه على باقي مخلوقاته وجعله هو المعنى الشامل للكون بأكمله ودعوة صريحة الى معرفة تجليات الانسان في الكون ولمعرفة ذلك لابدّ من المعرفة والعلم اللذين ظل النفري يمجّدهما في وقفاته اذ يقول : (وقال لي فتحت لكل عارف محق بابا إليّ فلا أغلقه دونه ، فمنه يدخل ومنه يخرج وهو سكينته التي لاتفارقه)[33] .هنا تجسيد لمعنى الآية الكريمة " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " اقرارا بنورانية العلم والمعرفة التي تؤدي إلى السكينة والطمئنينة

إن القارئ لنصوص النفري يجد أيضاأنه يستعين بتكثيف التعبيري والإيجاز اللفظي ، فيجمع كثير المعنى في قليل اللفظ إذ يقول :

(وقال لي يا عبد شيء كان وشيء يكون وشيء لا يكون ، فشيء كان حبي لك ، وشيء يكون تراني وشيء لا يكون لا تعرفني أبدا).[34]

يفضي هذا المعنى من خلال لغته وإشاراته إلى التأرجح بين الماضي ، الحاضر ، الآتي ، وإلى المعرفة التي لا تستطيع وليس لها القدرة في نهاية المطاف امتياز حق المعرفة الكاملة ومهما حاولت فكل ما توصلت إليه نسبي .

وظاهر المعنى يُذكّر بما قدّمت به أحلام مستغانمي لروايتها ذاكرة الجسد ، قائلة في الصفحة الأولى :

ما أجمل الذي حدث بيننا
ما أجمل الذي لم يحدث
ما أجمل الذي لن يحدث

ومن هنا قد تتجلي نفرية أحلام في هذا القول المفتوح على ما لا نهاية من القراءات ومن الايحاءات ومن التأويلات . والدارس لمواقف النفري يجد أن لغة النفري هي لغة التبشير بما وراء الحرف والمجاز

يقول النفري : (الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه فكيف يخبر عني)[35]

والضدّالمكثف والموجز عند النفري أو النقيض هو الذي يوضّح الصورة ويجلّيها .

(وقال لي من لم يراني من وراء الضدين رؤية واحدة مارأني)[36]

وقال أيضا (وقال لي العلم الذي ضده الجهل علم الحرف والجهل الذي ضده العلم جهل الحرف فأخرج من الحرف وتعلم علما لا ضد له ، وهو الرباني ، وتجهل جهلا لا ضد له وهو اليقين الحقيقي).[37]

يرى أدونيس أن جمالية التصوف تقوم على التناقض وهو يعني أن الشيء لا يفصح عن ذاته إلا في نقيضه ، الموت في الحياة والحياة في الموت ، النهار في الليل ، والليل في النهار ... هذه الوحدة بين العالم المرئي وغير المرئي هي وحدة النقيض وهي واحدة من الأسس الجمالية في الكتابة الصوفية .[38]

ولذلك تبدو هذه الكتابة في الغالب محفوفة بالغرابة والغموض مما يجعلها تبدو عصية على الفهم خاصة لدى أولئك الذين ألفوا بساطة الوضوح .

الخاتمة:

ومن هنا انطلق النفري بنصوص عرفانية فكرية فلسفية تأملية صوفية في وقفاته ليجسد هاته الحقيقة العميقة ويفعّل نمطية حوار بينه وبين الأشياء بروحانيتها وجسمانيتها مؤسسا بذلك طريقة خاصة به قوامها التكثيف والإيجاز للتعبير عن مفاهيم تشكل بذاتها تصورا للحقيقة والواقع ، حيث تركيبة الرمز عند النفري شاركت في توليد افكار واستخراج مفاهيم جديدة ، واستطاع النفري بذلك أن يشكل شبكة رموز ترمي إلى حيازة معطيات فكرية وفلسفية واستعابها نظريا وعلميا ، وتكون الجهة المانحة للمعنى المراد توصيله . والقارئ لنصوصه يحق له في المقابل قراءة هذا النص وفق تصوراته وتأويلاته ، فهذا النص متاح لقارئيه ، وكل يستقبله بحسب مستوى وسائله الروحية والنفسية والسرية المتناهية في الزمان والمكان من أوله وحتى آخره ودائما من منطلق الراهن التأويلي الذي يعتريه لأن النفري

استعار مواقفا ولغة وفكرة تتخطى دائما مواضعات اللغة المؤلوفة . نص مفتوح على أكثر من قراءة وأكثر من منهج .....يبقى الحديث عنه يطول ولايكاد ينتهي .

التهميش:

[1]: شعيب حليفي، (مرايا التأويل) تفكير في كيفيات تجاوز الضوء والعتمة – دار الثقافة للنشر والتوزيع (الدار البيضاء) ، 2009،ص113.
[2]: نصر حامد أبو زيد ، فلسفة التأويل ودراسة القرآن عند محي الدين ابن عربي ، ط1، دار الوحدة، 1989، ص41.
[3]: مقدمة كتاب سعد توفيق ، ماهية اللغة وفلسفة التأويل ، المؤسسات الجامعية للنشر والتوزيع، ص03.
[4]: عبد القادر فيدوح، دلائلة النص الأدبي ، دراسة سيميائية للشعر الجزائري ط1 ، د.م.ج. وهران 1993، ص29.
[5]: عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل ومدارج معنى الشعر، ط1، دار صفحات للنشر والتوزيع 2009، ص84.
[6]: مُحَمَّد عزام ، (التلقي والتأويل) بيان سلطة القارئ دار اليانبيع للطباعة للنشر والتوزيع، 2009، ص202.
[7]: أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعيين ، تح علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد إبراهيم .القاهرة 1982ص364.
[8]: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، تح محمود مُحَمَّد شاكر .دار المدني طبعة 3 القاهرة 1992 ص366.
[9]: عبد القادر الفتوح: إرادة التأويل ومدارج الشعر، ص85.
[10]: بول ريكور ، نظرية التأويل وفائض المعنى ، تر: سعيد الغانمي: مكتبة سبتان المرخة للطباعة، ص141.
[11]: عبد الجليل منقور – النص والتأويل – دراسة دلالية في الفكر المعرفي الثراتي، د.م.ج، ص146.
[12]: ميشال فوكو ، نظام الخطاب تر مُحَمَّد سيلا المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء 1988، ص188.
[13]: السيد أحمدعبد الغفار – النص القرآني بين التفسير والتأويل ، ط2، دار المعرفة، 1982، بيروت، ص27.
[14]: على اعتبار أن التعريف الصوفي اللغوي والاصطلاحي مختلف حوله إلا أن الإجماع كان موحدا قصد التحديد النظري لدارسي النصوص الصوفية سواءا دينية كانت أو أدبية .
[15]: عبد الحميد هيمة ، الخطاب الصوفي وآليات التأويل ، قراءة في الشعر المغاربي المعاصر ، دار الأمير خالد ، قسنطينة 2013، ص06.
[16]: نصر حامد أبو زيد ، هكذا تكلم ابن عربي ، المركز الثقافي ألوبي، ص135.
[17]: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز موفم للنشر 1991، ص257.
[18]: عبد الوهاب أمين أحمد ، المغامرة اللغوية في الفتوحات المكية ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر 1995، ص256.
[19]: مُحَمَّد زايد ، أدبية النص الصوفي بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني ، عالم الكتب الحديث ، 2011، ص12.
[20]: مُحَمَّد زايد ، أدبية النص الصوفي ، ص12.
[21]: مُحَمَّد كعوان ، التأويل وخطاب الرمز (قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر – دار سهاد الدين، عالم الكتب الحديث – الأردن ، 2010، ص212.
[22]: جميل الحمداوي ، آليات الكتابة الصوفية عند النفري ، ط1، دار الريف للطباعة والنشر، المغرب 2017، ص09.
[23]: أدونيس، الصوفية والسريالية ، دار السافي ، بيروت، ص144.
(*): يعبر الصوفية في حالة وجدهم بكلمات تبدو أحيانا غير مفهومة (ضياع المعنى الحقيقي طالما أنهم في حالة وجد.
[25]: عفيف الدين التلمساني ، شرح مواقف النفري ، مركز الحضارة ، ألوسية للإعلام والنشر، ص60.
[26]: حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى، دار طليطلة، ص105.
[27]: مُحَمَّد ابن عبد الجبار النفري المواقف والمخاطبات ، تحقيق آرثر ابيري ،ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1996 ص 06
[28]: المواقف والمخاطبات ص10
[29]: المواقف والمخاطبات ص120
[30]: المواقف والمخاطبات ص120
[31]: منصف عبد الحق، الكتابة والتجربة الصوفية، منشورات عكاظ، ط، الرباط المغرب، 1988، ص102
[32]: المواقف والمخاطباتص105
[33]: المواقف والمخاطبات ص105
[34]: المواقف والمخاطبات ص49
[35]المواقف والمخاطبات ص34
[36]: المواقف والمخاطباتص34
[37]: المواقف والمخاطبات ص59
[38]: أدونيس الصوفية والسريالية ص140 – 141

قائمة المصادر والمراجع.

- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعيين ، تح علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد إبراهيم .القاهرة 1982.
- أدونيس، الصوفية والسريالية ، دار السافي ، بيروت.

- بول ريكور ، نظرية التأويل وفائض المعنى ، تر: سعيد الغانمي: مكتبة سبتان المرخة للطباعة.
- جميل الحمداوي ، آليات الكتابة الصوفية عند النفري ، ط1، دار الريف للطباعة والنشر، المغرب 2017.
- حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى، دار طليطلة.
- السيد أحمدعبد الغفار – النص القرآني بين التفسير والتأويل ، ط2، دار المعرفة، 1982.
- شعيب حليفي، (مرايا التأويل) تفكير في كيفيات تجاوز الضوء والعتمة – دار الثقافة للنشر والتوزيع (الدار البيضاء) ، 2009.
- صر حامد أبو زيد ، فلسفة التأويل ودراسة القرآن عند محي الدين ابن عربي ، ط1، دار الوحدة، 1989.
- عبد الجليل منقور – النص والتأويل – دراسة دلالية في الفكر المعرفي الثراتي، د.م.ج.
- عبد الحميد هيمة ، الخطاب الصوفي وآليات التأويل ، قراءة في الشعر المغاربي المعاصر ، دار الأمير خالد ، قسنطينة 2013.
- عبد القادر الفتوح: إرادة التأويل ومدارج الشعر.
- عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل ومدارج معنى الشعر، ط1، دار صفحات للنشر والتوزيع 2009.
- عبد القادر فيدوح، دلائلة النص الأدبي ، دراسة سيميائية للشعر الجزائري ط1 ، د.م.ج. وهران 1993.
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز موفم للنشر 1991.
- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، تح محمود مُحَمَّد شاكر .دار المدني طبعة 3 القاهرة 1992.
- عبد الوهاب أمين أحمد ، المغامرة اللغوية في الفتوحات المكية ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر 1995.
- عفيف الدين التلمساني ، شرح مواقف النفري ، مركز الحضارة ، ألوسية للإعلام والنشر.
- مُحَمَّد ابن عبد الجبار النفري ،المواقفوالمخاطبات .تحقيق آرثر ابيري ،ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1996.
- مُحَمَّد زايد ، أدبية النص الصوفي .
- مُحَمَّد زايد ، أدبية النص الصوفي بين الإبلاغ النفعي والإبداع الفني ، عالم الكتب الحديث ، 2011.
- مُحَمَّد عزام ، (التلقي والتأويل) بيان سلطة القارئ دار الينابيع للطباعة للنشر والتوزيع، 2009.
- مُحَمَّد كعوان ، التأويل وخطاب الرمز (قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر – دار سهاد الدين، عالم الكتب الحديث – الأردن ، 2010.
- مقدمة كتاب سعد توفيق ، ماهية اللغة وفلسفة التأويل ، المؤسسات الجامعية للنشر والتوزيع.
- منصف عبد الحق، الكتابة والتجربة الصوفية، منشورات عكاظ، ط، الرباط المغرب، 1988.
- ميشال فوكو ، نظام الخطاب تر مُحَمَّد سيلا المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء 1988.
- نصر حامد أبو زيد ، هكذا تكلم ابن عربي ، المركز الثقافي ألوبي.